

"دور الأسرة والمدرسة في اكتشاف الموهوبين والمبدعين ورعايتهم"

الدكتورة/ طايبي رتيبة

أستاذة محاضرة تخصص علم الاجتماع والديموغرافيا

جامعة البليدة -2-

ملخص:

لقد بات من الأمور البديهية، التي لا تحتاج إلى تأكيد، في عالم دائم التغير أن الأمم تتمايز وتتفوق عن بعضها البعض بقدر اهتمامها ورعايتها للمتفوقين والموهوبين والمبدعين، باعتبارهم المهارات البشرية الخلاقة التي تعتقد عليها الآمال للإسهام بشكل فعال في عملية التطور ومواجهة تحديات العالم المعاصر. ومن هنا يصبح التحدي الحقيقي الذي يواجه مجتمعنا اليوم هو أن يتم اكتشاف تلك المواهب الكامنة والدفينة بداخل أبنائنا وتنميتها واستثمارها من خلال ربطها باحتياجات التنمية والتقدم. وعليه تعد كل من الأسرة والمدرسة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تؤدي دورا فاعلا في الكشف عن الموهوبين والمبدعين ورعايتهم، وباعتبار الأسرة الخلية الاجتماعية الأولى التي ينمو فيها الطفل فإن لها دور في اكتشاف مواهب أبنائها في سن مبكرة، وإلى جانب ذلك فإنها تمارس دورها في تنمية القدرات الابتكارية لدى أبنائها الموهوبين. كما تلعب المدرسة أيضا دورا مهما في الكشف عن الأطفال الموهوبين ورعايتهم وذلك باعتمادها على أساليب الاختبارات الموضوعية للتقييم وتوفيرها على الأخصائيين التربويين... الخ، واستخدامها لإستراتيجيات فاعلة للعناية بالتلاميذ الموهوبين.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، المدرسة، اكتشاف الموهوبين، رعاية الموهوبين، معوقات الإبداع.

Résumé :

Le défi réel auquel est confrontée notre société aujourd'hui et le repérage des talents latents qui résident dans nos enfants, ainsi que de mettre en valeur et d'investir leurs talents en les reliant avec les besoins de développement et de l'avancement. En conséquence la famille, en sa qualité de première cellule sociale dans laquelle progresse l'enfant, joue un rôle important dans le repérage des talents chez les enfants à un âge précoce. En outre, la famille joue un rôle dans le développement des capacités créatives chez les enfants talentueux. Aussi, l'école joue un rôle fondamental dans le repérage et le soutien des enfants qui sont doués, en utilisant de divers outils de tests objectifs d'évaluation de l'intelligence, et de stratégies efficaces pour soutenir les élèves talentueux qui requièrent un enseignement axé sur la différenciation pédagogique.

Mots clés : la famille, l'école, le repérage des talentueux, le soutien des talentueux, les obstacles à la créativité.

إن الثروة البشرية هي الثروة الحقيقية لأي مجتمع وأفضل فائدة وأعم نفعاً وأكثر عائداً من جميع الثروات المادية الأخرى إذا ما ارتقى إعدادها وأحسن استغلالها وإذا ما تم استخدامها في تطوير الإنتاج وزيادته وتنويعه، فالدول تعلق أسهمها بموهوبيها ومبدعيها وتتقدم على غيرها من الدول بعقول علمائها ومخترعيها، أما تلك الدول التي تعتمد على امتلاك الثروات المادية وحدها فإن مآل تلك الثروات إلى الزوال ما لم تستخدم عائداً في إحداث برامج للكشف عن الموهوبين والمتفوقين والمبدعين وإعداد طرائق العناية بهم. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر أن بلاداً عديدة، وفي مقدمتها سويسرا، اليابان، كوريا الجنوبية، ماليزيا وغيرها، لا تمتلك ثروات مادية تذكر ومع ذلك فإنها تتقف في مصاف الدول الصناعية التي يتخذ بها، وذلك لما تقوم به من حسن رعاية لمواهبها واستخدام القدرات الإبداعية لدى أفرادها بما يحقق فائدة للمجتمع (رمضان، م. ق. 2000). ومنه فإن التحديات القادمة في الألفية الثالثة هي تحديات إبداعية في كافة المجالات، والإبداع والتفوق والموهبة يتم غرس مقوماتها منذ الطفولة ليصبح الطفل المبدع جزءاً أساسياً من مكونات البناء العام، ومن ثم كان ضرورياً إعادة النظر في تربيته إبداعياً (محمود شقير، ز. 1999)، لذا تسعى الأمم والبلدان المتقدمة جاهدة للكشف عن هؤلاء الموهوبين والمبدعين ورعايتهم ونحن في العالم الثالث، والوطن العربي خاصة، لا يعوزنا فقط اكتشاف الأفراد المتفوقين والموهوبين وإنما العناية بهم وتعليمهم (عطوف، يا. 1981).

ومن هنا تقع على عاتق الأسرة والمدرسة مسؤولية اكتشاف تلك البراعم المتميزة ورعايتها لإعداد كوادر مبدعين والمبتكرين القادرين على قيادة مشاريع البناء والإصلاح والتطور، ومن الحقائق العلمية المتداولة أن التربية المبكرة للطفل خلال السنوات الأولى من عمره تترك بصماتها على شخصيته وعلى بعض أنماط سلوكه، ولهذا لا يمكن إنكار ما للأسرة من دور هام في اكتشاف الموهوبين من أبنائها وتلبية حاجاتهم. كما لدور المدرسة أهمية بالغة في الكشف عن المواهب والقدرات الإبتكارية وتطويرها، فالمدرسة هي البيئة الاجتماعية التعليمية التي يمضي فيها الأطفال جزء غير بسيط من أعمارهم من أجل التزود بالخبرات الاجتماعية، ويمكن لها أن تقدم الكثير في مجال اكتشاف الموهوبين عن طريق مساعدة التلاميذ على التعامل مع المواهب التي يتميزون بها وتنمية روح الابتكار والبحث والاكتشاف لديهم (ماهر، ص. 2006).

1/- دور الأسرة في اكتشاف ورعاية الموهوبين والمبدعين:

لكون أن الأطفال الموهوبين لهم أهمية كبيرة في مستقبل الأمة ونهضتها يجدر بكل الجهات المشرفة على التربية أن تكتشف هؤلاء الموهوبين منذ الصغر، وذلك كي تهتم بهم الاهتمام المناسب وترعاهم الرعاية الكافية التي تنضج ما عندهم من مواهب وتستثمرها استثماراً جيداً (الخميسي، أ. ح. 2014). ومنه تمثل الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى في المجتمع التي تبدأ فيها عملية التنشئة الاجتماعية للطفل فالأسرة هي التي تشبع حاجات الطفل وتكشف قدراته وتنمي مواهبه واستعداداته، فمن الأهمية أن تتعرف الأسرة على أطفالها الموهوبين في سن مبكرة ذلك أن ما يتاح للآباء أكثر مما يتاح للمدرسة والآباء يمكنهم ملاحظة أبنائهم عن قرب لفترة طويلة في مراحل نموهم المتعددة (العلي، ط. 2005). ومن هذا المنطلق تشعر الأسرة أن من واجبها أن تربي أطفالها أحسن تربية وتكشف عما عندهم من قدرات ومواهب لترعاها أو توكلهم إلى من يرعاهم. ووسائل الأسرة في الكشف عن مواهب أطفالها بسيطة مبنية أساساً على: الملاحظة، المتابعة، المعاشية والمقارنة، فوجود الطفل في أحضان أسرته وهو ينمو يبدأ بالحركة والكلام واللعب والتجاوب مع الآخرين وذهابه وإيابه ونومه ويقظته وأسئلته واستفساراته واهتماماته، كل ذلك يتيح للأسرة أن تكتشف مواهبه الدفينة بداخله. والأسرة قادرة على كشف مواهب أطفالها عن طريق المقارنة بينه وبين أصدقائه من سنه الذين يلعبون ويدرسون معه ويقضي وقتاً لا بأس به معهم، ومما يساعد على ذلك معرفة الأسرة بخصائص الطفل الموهوب وصفاته المميزة فالأسرة الجاهلة غير الواعية تغفل عن كثير من مواهب أطفالها وقد تكتشف بعض المواهب لكنها لا تعرف ماذا تفعل لرعايتها.

على أن كشف الأسرة في الغالب يكون مبكراً وما تراه الأسرة يعتبر عنصر تنبيه وتوجيه يفيد الجهات المختصة كالمدرسة للتأكد من الموهبة وتنميتها، لذا نرى بعض الأسر إذا ما لمست موهبة أو إبداعاً ما لدى ابنها سارعت إلى إرساله إلى ناد أو معهد أو هيئة مختصة بتنمية المواهب لترعاه، وبعض الأسر تتواصل مع المعلمين في المدرسة لتتساور معهم في أنجع الطرق لتربية ودعم ابنها الموهوب (الخميسي، أ. ح. 2014). ولقد حدد الباحثان "كولانجلو و داتمان" (Colangelo & Dettman 1983) دور الأسرة في الكشف عن الطفل الموهوب في الخطوات التالية:

-الخطوة الأولى:

التعاون مع المدرسة عن طريق عقد الأسرة للقاءات مع معلم الطفل لإعطائه المعلومات الكافية عن طفلها الموهوب، وهذا لأن المعلم لن يكون لديه الوقت الكافي لكشف الموهبة لدى جميع الطلاب.

-الخطوة الثانية:

عقد لقاءات مع الاختصاصي النفسي أو المرشد النفسي كي يمد الأسرة بالمعلومات اللازمة عن سلوك طفلها الموهوب والتعرف على أساليب التعامل الصحيح معه ومراعاة الخصائص النفسية والاجتماعية للطفل الموهوب.

-الخطوة الثالثة:

اللجوء إلى مصادر الدعم في المجتمع من جامعات ومؤسسات مجتمعية لتوفير المساعدات المادية والفنية لرعاية الطفل الموهوب. ولكن كما يبين "كولانجولوداتمان" أن أهم مشكلة تواجهها الأسرة في هذا المجال هي قلة المعلومات التي تمتلكها عن طبيعة الطفل الموهوب وخصائصه وأساليب الكشف عنه.

أ/- خصائص البيئة الأسرية للأطفال الموهوبين:

تشير دراسات تناولت السيرة الذاتية للمبدعين والنوابغ من العلماء والمفكرين والقادة في مجالات السياسة والعلوم أن هناك بعض ملامح مشتركة في بيئتهما الأسرية خلال طفولتهم المبكرة هي كالآتي:

- أثبتت الدراسات العلمية أن حجم أسرة الطفل الموهوب صغيرة نسبياً وأن عدد أفرادها قليل ويمكن تفسير ذلك بأن الطفل الموهوب عندما يعيش ضمن أسرة حجمها صغير نسبياً فإن الاهتمام به يكون أكثر كما أن الأسرة تستطيع أن توفر له دعماً مادياً ومعنوياً بشكل أفضل. ففي دراسة "تيرمان" (Terman 1925) الكلاسيكية على عينة قوامها حوالي 1000 من الموهوبين بينت أن 60% من أفراد عينته كانوا ينتمون إلى أسر عدد أفرادها صغير وهو اثنان.

- تبين الدراسات أن الطفل الموهوب يحتل الترتيب الأول (الطفل الأكبر، الطفل الأصغر) أو قد يكون الطفل الوحيد في الأسرة، وتفسير ذلك أن هذا النوع من الأطفال يلاقون معاملة خاصة في الأسرة إذ يتم تشجيعهم على الاستقلالية ولعب دور قيادي في الأسرة منذ الصغرى يساهم في تنمية ذكائهم وإظهار قدراتهم الكامنة.

-أكدت الدراسات أن أعمار الآباء والأمهات للأطفال الموهوبين هي كبيرة نسبياً ويمكن عزو ذلك إلى أن الأبوين في هذا العمر يكونان أكثر نضجاً من الناحية العاطفية وأكثر استقراراً من الناحية المادية مما ينعكس إيجاباً على تنمية الموهبة الكامنة لدى طفليهما.

-إن المستوى التعليمي والمهني للأبوين يؤثر بصورة إيجابية على تنمية الموهبة لدى الطفل لأن الأبوين المتعلمين اللذين يتمتعان بمراكز مهنية يكونان أقدر على توفير البيئة الميسرة لتنمية الموهبة والمناخ التربوي والنفسي الملائم لإطلاق الطفل الموهوب لطاقته الإبداعية. حيث بينت الدراسات أن المستوى التعليمي لآباء الأطفال الموهوبين أفضل من المستوى التعليمي لآباء الأطفال العاديين وأن نسبة لا يستهان بها منهم قد أتموا المرحلة الجامعية.

-تشير معظم الدراسات حول العلاقات الأسرية والموهبة إلى أن أسر الطفل الموهوب تتمتع بتوافق أسري جيد وأن نسبة الطلاق منخفضة، حيث تتميز العلاقات الأسرية للموهوبين الناجحين بالتماسك والتفاهم والحب والسعادة الزوجية، بينما تتسم العلاقات بين الأبوين لدى الأطفال الموهوبين الفاشلين بالخلاف والانفصال.

ب/-أساليب رعاية الموهوبين في الأسرة:

مما لا جدال فيه أن فئة الموهوبين تعتبر من الفئات المعرضة للخطر إذا لم يجدو الرعاية الكافية من المحيطين بهم وتقبلهم وتلبي احتياجاتهم المختلفة، وتطوير طرق تعليمهم ومحاولة إرشادهم وإرشاد المحيطين بهم نفسياً نظراً للحالة الوجدانية الانتقالية التي تميزهم عن العاديين (ماهر، ص. 2006). وعليه تلعب الأسرة دوراً مهماً في تنمية قدرات الطفل فهي تمثل الخلية الاجتماعية الأولى التي ينمو فيها الطفل وتحقق فيها مطالبه الجسمية والنفسية والاجتماعية، كما أنها تمثل الإطار الأساسي للتفاعل الاجتماعي حيث تبدأ صور هذا التفاعل من علاقة الطفل بالديه وإخوته، ثم تتسع دائرة هذه العلاقات الاجتماعية لتشمل جماعات أخرى كالأطفال في الروضة والشارع والمدرسة، ويتعلم الطفل أنماطاً من السلوك كاللغة وتكوين الصداقات والعادات وحب الاستطلاع وممارسة الاستقلال الشخصي، بحيث يتكون لديه مفهوم الذات والضمير وعملية الاتصال بالآخرين، وفي هذا الإطار التفاعلي بين الطفل وهذه الجماعات ينبغي على الأسرة أن تمارس دورها كاملاً في تنمية قدرات الطفل ومواهبها ورعايتها وزيادتها (صحيفة الجمهورية، 2010).

على أن دور الأسرة مع طفلها الموهوب يبدأ منذ بزوغ بدايات الموهبة لديه أو العلامات الأولية الدالة عليها، كما أن رعاية الأسرة للطفل الموهوب تحتاج إلى مضاعفة مجهوداتها وتتجه هذه المجهودات بداية نحو الوقوف على معرفة أهم المشكلات والصعوبات التي تواجه طفلها الموهوب لكي تعمل عندها على مواجهتها، وحتى تتيح له الفرصة لكي يمارس هواياته ومواهبه دون أي ضغوط أو قيود. ولا يقتصر الأمر فقط على معرفة المشكلات والصعوبات التي تواجه أطفالها الموهوبين ولكن لا بد من أن تتوفر في الأسرة، التي تضم طفلا موهوبا، مجموعة من المقومات تساعد في توفير الرعاية لهذا الموهوب (معوض، م. ن. 2013). إذ أثبتت العديد من الدراسات والبحوث العلمية أن أساليب التنشئة الأسرية تشكل إحدى المقومات الأساسية في تنمية الموهبة والإبداع لدى الأطفال، ومن الدراسات الكلاسيكية المعروفة في هذا المجال دراسة "آن رو" التي قامت بدراسة على ثلاث مجموعات من العلماء المبدعين، فوجدت أن أهم عوامل البيئة الأسرية المشجعة للإنجاز العاليتكمن أساسا في توافر الحرية وتضاؤل العقاب والتشجيع المستمر الذي يستخدمه الآباء مع أبنائهم. كما تشير معظم الدراسات العربية والأجنبية إلى ضرورة توفير المناخ الأسري المتناسك الذي يسوده العطف والحنان والطمأنينة والعلاقات الاجتماعية السليمة للنمو النفسي والاجتماعي المتوازن للطفل الموهوب، بحيث ينمو نموا صحيحا بعيدا عن المشاكل ومظاهر الصراعات والتصدع الأسري، منه المادي والمعنوي، بما يمنح لطفلا شعورا بالأمان الذي هو في أمس الحاجة إليه لتنمية قدراته الإبداعية (فيوليت، إ. 1997).

وتبين الدراسات أيضا في هذا المجال أن بعض الاتجاهات الوالدية تساعد على تنمية الإبداع ومن أهمها تشجيع التفكير اللانمطي للأدوار الجنسية أي عدم قولة كل من الذكر والأنثى في أدوار تقليدية معينة، والتي ترى أن أدوار الأنثى ترتبط بالعلاقات الاجتماعية وأنها خلقت للبيت وتربية الأولاد وأن الذكر دوره هو كسب القوت والأدوار التي تتعلق بالإنجاز، بل يجب النظر إلى الابن حسب قدراته وميوله. هذا إلى جانب أهمية توافر البيئة الغنية بالمشيرات اللغوية والفكرية والثقافية الآمنة سيكولوجيا والتي تعد من مقومات تنمية الموهبة والإبداع لدى الطفل في الأسرة، ومن أهم عناصرها نذكر: توافر الإمكانيات المادية لتنفيذ الطفل المبتكر لأفكاره ومكتبة تحوي الكتب المختلفة النافعة والألعاب المثيرة ذهنيا وتشجيع الرحلات الاستكشافية العلمية والثقافية والهوايات، والإجابة عن أسئلة الطفل التي يطرحها وتشجيع القراءة والتواصل اللفظي بين الآباء والأبناء.

2/- دور المدرسة في اكتشاف ورعاية الموهوبين والمبدعين:

يعتبر الطلاب الموهوبون ثروة وطنية وكنز لا ينضب في مجتمعنا بل وعامل من عوامل نهضته في جميع المجالات حيث بهم وعن طريقهم يتم استثمار وتطوير الأنواع الأخرى من الثروات، وذلك لأن أي عمل ثقافي أو حضاري يقوم أساسا على الفكر والجهد البشري، كما أن أثنى ما في الثروة البشرية عائد لإمكانات الموهوبين فهم بما وهبهم الله من تفوق عقلي وقدرات خاصة على الفهم والتطبيق والتوجيه والقيادة والإبداع أقدر العناصر البشرية على إحداث التقدم وقيادة التنمية والتصدي لمعوقاتها وحل مشكلاتها، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات﴾. ومن تلك الدرجات الموهبة مما يحتم علينا ضرورة استغلال ما لدى هذه الفئة من مواهب وقدرات عقلية متميزة استغلالا تربويا أمثل، إذ نؤكد على مسؤولية التربية بشكل عام والمدرسة بشكل خاص في اكتشاف الموهوبين وتوفير البرامج الملائمة لهم التي تفي باحتياجاتهم. ولاشك أن مدى نجاح البرامج المعدة لرعاية الموهوبين يتوقف على مدى النجاح في تشخيصهم وحسن اختيارهم، ولذلك تعددت وسائل الكشف عن الموهوبين على مستوى المدرسة والتي من أهمها:

- ملاحظة أداء الطالب أو نتائج تعلمه في أي برنامج من برامج النشاط أو أي محتوى يعرض له أثناء الممارسة أو الصور التي يعرضها في سلوك حل المشكلات؛
- تقارير الطلاب عن أنفسهم أو الآخرين عنهم مثل تقارير المعلمين ومشرفي الأنشطة والأسرة؛
- استخدام أدوات وأساليب علمية في الكشف عن الموهوبين مثل المقاييس النفسية التي تتضمن اختبارات الذكاء والتحصيل ومقاييس الإبداع (ماهر، ص. 2006).

إن المعلمين والمشرفين التربويين في المدرسة قادرون على الكشف عن التلاميذ الموهوبين والمتفوقين لأنهم يمتلكون الخبرة والتجربة في هذا الميدان، وذلك من خلال العملية التربوية التي يقومون بها في داخل الفصل أو خارجه أو في مرافق المدرسة وأجنحتها كالمكتبة أو المخبر أو الملعب، أثناء دروس العلوم النظرية والتطبيقية والفنية ومن خلال المحادثة واللقاءات الودية بين المعلمين والتلاميذ. كما أن المذاكرات والامتحانات الشفوية والكتابية تكشف للمعلمين بعض المواهب، إلى جانب ذلك فإن المناشط والفعاليات الصفية وغير الصفية التي يتفاعل معها التلاميذ والطلبة تكشف عن المتفوقين والمبدعين، وهو ما يجعل أن من أبرز مسؤوليات المدرسة التعرف إلى الموهوبين واكتشاف استعداداتهم الخاصة الكامنة في وقت مبكر (الخميسي، أ. ح. 2014).

أ/- الإستراتيجيات المعتمدة لرعاية الطلاب الموهوبين:

بما أن الموهبة لا تحسب في سن النضج فقط وإنما لها جذور في سنوات النمو المبكرة فإن المدرسة هي المكان المهم الذي يساعد الأطفال الموهوبين ليعرفوا ما بداخلهم من قدرات واستعدادات للإبداع، وهذا ما يدعو الحاجة إلى ضرورة توفير برامج التربية الخاصة للموهوبين وهذه الفكرة لا تكون ذات أهمية إذا لم يكن هناك ارتباط ما بين النمو والتطور المبكر باتجاه المرحلة المستقبلية ومرحلة الإشباع المتأخرة (هايل السرور، ن. 2000). هذا وما يجعل المدرسة المكان المناسب لاكتشاف الطلاب الموهوبين ورعايتهم هو تلك الحقيقة الثابتة التي لا تقبل الشك وهي أن عدد من الموهوبين يوجد في المدارس على اختلاف مراحلها وأنواعها، إلا أنه مع اختلاف الخبراء والتربويين في الطريقة المثلى في تربية الموهوبين والعناية بهم نرى أن الاتفاق ينعقد على ضرورة إعداد برنامج خاص لتربية الموهوبين والعناية بهم بحيث يكون مناسباً لهم وأفضل لتربيتهم وتنشئتهم، ويتم ذلك من خلال الإستراتيجيات المتعارف عليها لرعاية الطلاب الموهوبين وهي على الشكل التالي:

أولاً- إستراتيجية التجميع:

وتقوم هذه الإستراتيجية على تجميع الطلاب الموهوبين داخل مجموعات متجانسة من الأعداد ذوي الاستعدادات أو الميول المتشابهة أو المتكافئة، مما يوفر لهم الدافعية والإثارة ويحملهم على الاستزادة في المعرفة والفهم واكتساب الخبرة الغزيرة وإبراز للمواهب الخاصة. إلا أنه يجب ألا يتخذ التجميع مفهوماً جامداً فقد تختلف مدة التجميع فتستمر من ساعة إلى بضع ساعات، وقد تستمر يوماً دراسياً كاملاً كالיום المفتوح أو تستمر لعدة أسابيع كالمعسكرات الاجتماعية التربوية والرحلات الطلابية.

ثانياً- إستراتيجية التسريع:

ويقصد بها السماح للطلاب الموهوبين بتخطي البرامج العادية والانتقال إلى برامج ذات مستوى عالٍ تتفق مع أعمارهم العقلية وليس الزمنية، وذلك لأن الطلاب الموهوبين يكونوا قد حققوا نضجاً عقلياً أسرع من الطلاب العاديين الذين في نفس سنهم مما يضمن مواجهة الحاجات العقلية والمعرفية للموهوبين وتميئتها. وهذا الأسلوب يتطلب تهيئة البرامج والإمكانات للطلاب الموهوبين مع وجود الحرية والمرونة التي تسمح بانتقال هؤلاء الموهوبين إلى برامج ومهارات أعلى كلما أمّحوا واجتازوا أهداف تلك المرحلة، ويعد الإسراع في نقل الطالب إلى مكان يتناسب مع مستواه وسيلة من الوسائل الأكثر شيوعاً للعمل على رعاية الطلاب الموهوبين (ماهر، ص.

2006). ويمكن كذلك تحقيق الإسراع بهذه الطرق الالتحاق المبكر بالمدرسة الابتدائية، تخطي بعض الصفوف الدراسية، الدراسة المستقلة في المرحلة الثانوية أو الجامعية (سيسالم، ك. صادق، ف. 1988).

ثالثاً- إستراتيجية الإثراء:

وهي عبارة عن تدعيم المنهج وإثرائه من الناحيتين الكمية والكيفية وذلك بإضافة مناهج للموهوبين إلى المناهج العادية، أو إضافة أنشطة خصبة ووفرة إلى المواد الدراسية أو إلى البرنامج الموضوع لرعاية الموهوبين أو لكليهما معاً، بحيث تمتلك الخبرات التعليمية الإضافية مواهب الموهوبين وقدراتهم ومهاراتهم العقلية (ماهر، ص. 2006). كما تعمل الأنشطة الإضافية على تشجيع مبادرات الطلاب في التعلم الذاتي وتقدير مبادراتهم الخاصة في أداء عمل ما دون تكليف به أصلاً، وتأكيد الحاجة إلى الإبداع في نفوس الطلاب والعمل على توفير كل المصادر الممكنة وتسخير الإمكانيات المتاحة في البيئة المدرسية (درويش، ز. ع. 1995).

ب/- طرق التدريس وتأثيرها على الموهبة والإبداع:

يشير الباحث "بارنز" (Parnes) إلى أنه من الأمور التي يجب الاعتناء بها لتنمية التفوق والإبداع هي طرق التدريس، فهي وحدها قادرة على إثارة الطلبة ودفعهم للقيام بعمليات التفكير المستقل واختبار صحة أفكارهم. كذلك يشير في هذا الصدد "هادون وليتون" (Haddon & Lytton) إلى مجموعة من النتائج التي توصلوا إليها في أبحاثهما عن علاقة طرق التدريس بالموهبة والإبداع وهي كما يلي:

- إن نجاح أصحاب التفكير التباعدي أو المتشعب (المبدعون والمبتكرون) يرتبط بشكل إيجابي بتوفير جو يتميز بالحرية والتسامح بالمدرسة، كما يرتبط أيضاً سلبياً بأساليب التعليم التسلطية؛ - هناك علاقة سلبية ما بين التعبير عن الإبداع بين طلبة المدارس الابتدائية وسلوك المدرس المتميز باستخدام وسائل التوبيخ والتحقير والعقاب البدني؛

- هناك علاقة إرتباطية موجبة ما بين الإبداع واستخدام المدرس لأساليب التعزيز وخاصة إذا ما اقترنت الأخيرة بمظاهر الاهتمام الشخصي الذي يديه المدرس لأفكار تلاميذه مع الابتعاد عن عمليات التقييم التقليدية. وتشير الدراسة بشكل عام إلى أن موقف المدرس وطرق التدريس المستخدمة تعتبر من العوامل المؤثرة إلى حد كبير على درجة التفكير التباعدي لدى التلاميذ

الموهوبين (Haddon, F.A.& Lytton, H. 1968). وبشكل عام هناك

أربعة استراتيجيات للتدريس تتلاءم مع احتياجات المتفوقين هي كالتالي:

- حل المشكلات: توفر هذه الطريقة للموهوب، أيا كان مجال تفوقه، نوعا من التحدي الذي يستثير طاقاته الإبداعية عقلية كانت أو عضلية أو فنية... الخ لإيجاد الحلول للمسائل العلمية المطروحة.

- الاكتشاف: وهي من أكثر المداخل فاعلية في تنمية التفكير العلمي لدى التلاميذ حيث تتيح لهم ممارسة طرق البحث العلمي التي يمارسها العلماء بصورة مبسطة واكتشاف أنفسهم، وهنا يسلك المتعلم سلوك العالم الصغير في بحثه المنظم بحيث تدعم طريقة الاكتشاف قدرة المتعلم على التعلم بنفسه والثقة بالنفس.

- العصف الذهني: تستهدف هذه الطريقة اختبار أفضل الحلول لمشكلة ما وذلك من خلال الإدلاء بأكبر قدر ممكن من الأفكار والمقترحاتم تناقش كل منها بصورة موضوعية ناقدة واختيار أمثلها أو أفضلها، وعادة ما تتضمن جلسات العصف الذهني مجموعة من المتفوقين يقودهم معلم ذو دراية كافية بهذه الطريقة.

- التعلم الذاتي: هو أحد الاتجاهات الحديثة التي تسعى المناهج الحديثة لإكسابها للطلاب تلبية لمتطلبات الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة للمعارف تتسارع وتتنوع بصورة غير مسبقة، وبذلك يصبح التعلم الذاتي للاستزادة مسؤولية يتحملها الطلاب المتفوقين لتطوير أنفسهم علميا بصورة مستمرة (ماهر، ص. 2006).

3/- معوقات الموهبة والإبداع:

إن الإبداع أو الابتكار أو الاختراع أو الاكتشاف أيا كان الاسم الذي تتداوله إنما يشير إلى ظاهرة بشرية مهما قيل فيها فهي في نهاية الأمر تصدر عن أشخاص يعيشون في واقع اجتماعي بعينه ويتأثرون بما ينطوي عليه هذا الواقع سلبا أو إيجابا، وليس صحيحا على الإطلاق القول بأن شعلة العبقرية كفيلة بالتغلب على سلبات البيئة ولكن الصحيح أن صدق هذا القول لا يتعدى حدودا بعينها مهما اتسعت، والصحيح أيضا أن المجتمع مسؤول بشكل ما عن ثروته من النابغين والمبدعين ولكي ندرك وزن المسؤولية الملقاة على عاتق المجتمع يكفي أن نبرز الحقيقة الكامنة في أنه صحيح أن المجتمع لا يستطيع أن يخلق العبقرية لكنه يستطيع أن يقتلها، وذلك تحت تأثير مجموعة من العقبات التي تعيق الموهبة والإبداع نوجزها كما يلي (سويف، م. 2000):

- اتجاه المجتمع عن طريق التربية الأسرية إلى التأكيد على سلوك التبعية والنمطية في الملابس والمأكل وسلوك التعامل مع الآخرين وأنماط الثقافة المتداولة، واعتبار من يفكر فيما يسمى بالتجديد والإبداع الخارق للعادة أو الظهور بمظهر متميز ومخالف على أنه مارق ومنحرف أو شاذ في تفكيره، وفيما يلاحظ أن أنماط التربية التقليدية تعمل على تدعيم هذا الاتجاه على وجه الخصوص (رمضان، م. ق. 2000).

- عدم اكتراث الوالدين بمواهب الأبناء وعدم وجود مايزكيها في البيت مع عدم تقبل الأسرة والمجتمع للأفكار الغريبة غير التقليدية التي لدى المبدع والموهوب إلى جانب النظرة السلبية للإبداع (عبد الباقي، س.). علاوة على التفاوت العقلي بين الطفل وأسرته الأمر الذي يجرمه من تبادل الخبرات المشبعة معها والمناقشات الموضوعية وطرح وجهات النظر مما يجعله يشعر أنه غريب عنها.

- اتجاه المؤسسات التعليمية في أساليبها وممارستها إلى تعميق روح الشعور بالتبعية وتقوية الأساليب النمطية لدى الطلاب من أجل استكمال تعليمهم النظري الجاف وذلك بدلا من إعداد مفكرين ومبدعين أصيلين، إذ أن وضع المدرس كمصدر الوحيد للمعلومات يجعله يشعر بأن أسئلة الموهوبين الموجهة إليه هي امتحان له وتمثل تحديا لقدراته من قبل تلامذته المتفوقين. على أنه بمجرد أن يكتشف الطفل جدة الإجابة واختلافها عن الأسلوب التقليدي الذي أملاه أو شرحه المدرس حتى يشعر بالخوف والرهبة ويصر على الإجابة بطريقة مماثلة حتى لا يكون عرضة للإهانة والعقاب من قبله (رمضان، م. ق. 2000).

- إن ضغط جماعة الرفاق على الفرد الموهوب للاتساق (المواءمة) مع نفس السلوك العام يؤثر على التفكير الإبداعي ومن المحتمل أن يكون الضغط من أجل الامتثال للجماعة مسؤولا بقدر كبير عن الهبوط الحاد في منحنيات النمو في فترات معينة من سن المدرسة الابتدائية، إذ تشد في هذه الفترات حاجة الطفل إلى "التصحيح الاجتماعي" فغالبا ما يخشى التفكير حتى يعرف ما يفكر فيه زملاؤه، وهذا عامل معوق رئيسي في الابتكار الذي يتركز بطبيعته على التشعب والانشقاق في الأفكار (المليجي، ع. م. المليجي، ح. 1971).

- خاتمة:

لقد حرصنا في ثنايا هذا المقال على إبراز الدور الأساسي المنوط بتلك المؤسسات الاجتماعية "ممثلة في الأسرة والمدرسة" في اكتشاف وتشخيص مبكرا الموهوبين والمبدعين، من كلا الجنسين،

وباعتماد أساليب بسيطة وأدوات واستراتيجيات علمية محددة، والحرص على تقديم لهم الرعاية اللازمة ومساعدتهم على تطوير قدراتهم الإبداعية ومهاراتهم الذهنية وصقل مواهبهم وتوجيههم، بالشكل الذي يمكن هذه الفئة المتميزة الإسهام الفاعل في إحداث التقدم المنشود في مختلف المجالات العلمية، التكنولوجية، المعلوماتية، الإنتاجية والخدمية، والتصدي لتلك التحديات التي يشهدها العالم المعاصر بتحولاته وتطوراته السريعة المتعددة الأبعاد. مما يدعو بذلك، من الناحية العملية، إلى البحث عن أنجع السبل والاستراتيجيات الفعالة على مستوى مجتمعنا الجزائري للاستثمار الأمثل لهذه الطاقات الإبداعية وحسن الانتفاع من قدراتها الابتكارية، من خلال تهيئة مجالات العمل الملائمة لها بعد تخرجها وإشراكها في مسيرة التنمية الشاملة ومسايرة ركب التطور والتقدم.

كما أنه لا بد من العمل على تطوير أساليب التعامل مع فئة الموهوبين والمبدعين، سواء على مستوى الأسرة أو المدرسة، بصورة تتوافق مع أسس الإبداع، بخاصة فيما يتعلق بمنحهم مجال من الحرية الشخصية لتنمية قدراتهم الإبداعية وتشجيع الاستقلال في التفكير للتعبير عن وجهات نظرهم المخالفة والخروج عن النمطية. على أن تتاح لهم الحرية في تحقيق ذواتهم بصورة يطبعها التميز وباستخدام طرق وأساليب جديدة ومغايرة عما هو متداول في المجتمع، وهو ما يقتضي على الجماعة تقبل بينها هذه الفئة المتميزة بمواهبها وتغيير نظرتها تجاهها، كونها فئة شاذة في سلوكها الذي يخرج عن المألوف وما لها من القدرة على التفكير التباعدي، وأن يتم مساندتها حتى يمكنها الاستمرار في عملية إنتاجها الابتكاري ومسيرتها الإبداعية وتقديمها لها العون للتوافق والتكيف النفسي والتفاعل الاجتماعي وإخراجها من عزلتها وانطوائها، مع ضرورة العمل على تذليل العقبات والصعوبات التي تقيد قدرات التفكير الابتكاري لدى هذه الفئة وتؤدي إلى اضمحلال الموهبة.

-التوصيات:

نختم هذا العرض بمجموعة من التوصيات المقترحة التي تلزم ضرورة جعل قضايا هذه الفئة المتميزة، من الموهوبين والمبدعين، في المجتمع في صدارة القضايا المحورية التي تثير الاهتمام وتدفع إلى التفكير في إعداد استراتيجية وطنية للعناية بموارعها، والتي نوجزها في النقاط التالية:

- بث الوعي لدى الأسر بأهمية الموهبة والإبداع حتى تتعرف على أبنائها التي كثيرا ما تغفل مواهبهم وتجهل أساليب اكتشافها وتنميتها، والعمل بالتالي على نشر ثقافة التميز والإبداع والفكر

الخلاق بين أفراد المجتمع ووضع حد لثقافة الجمود الفكري المحبطة للإبداع والتجديد، وذلك عبر تنظيم الندوات، المحاضرات، المؤتمرات، ومن خلال وسائل الإعلام والاتصال المتنوعة والتعاون بين الأسرة والمدرسة والتنسيق بينهما في هذا المجال.

-إنشاء مدرسة للمتفوقين في ذلك مراكز أو هيئات أكاديمية خاصة لرعاية الطلاب الموهوبين والمبدعين وتنمية قدراتهم الإبداعية بخاصة في الميادين العلمية والتقنية، مع إعداد مناهج وبرامج تعليمية وأساليب بيداغوجية متطورة وحديثة خاصة بهم، بحيث تتكيف وتتوافق مع مستوى التفوق العقلي والتفكير الإبداعي لهذه الفئة، مع الحرص أيضاً على تدريب أخصائيين ومؤطرين مؤهلين لتعليم الطلاب الموهوبين ورعايتهم.

-اعتماد نظام الحوافر لتشجيع الموهوبين والمبدعين على إنجازاتهم الخارقة وتكريمهم وذلك بمنحهم مكافآت مالية أو لجوائز قيمة وتوزيع إبداعاتهم بشهادات تقديرية، أو عن طريق تخصيص منح للموهبة والإبداع وإقامة مسابقات وطنية ودولية للتحفيز على الإبداع.

-خلق نوادي باسم "الطالب الموهوب والمبدع" على مستوى الكليات والجامعات لاستقطاب الشباب المبدع في شتى مجالات العلوم والآداب والتكنولوجيا وغيرها، وإبراز مواهبه وصقلها عن طريق تسخير له الفضاء الواسع للممارسة الإبداعية الابتكارية. مع المبادرة أيضاً باستحداث موقع الكتروني خاص بالطالب الموهوب والمبدع للتعبير من خلاله عن انشغالاته والصعوبات والمشاكل التي يواجهها، وذلك بهدف تقديم الخدمات الاستشارية لفئة الموهوبين والمبدعين وتوجيههم ودعمهم.

- تقديم الدعم المادي المعنوي والقانوني للكوادر الشابة الموهوبة والمبدعة بخاصة منهم المخترعين الشباب الذين يشكلون الثروة البشرية للمجتمع ويلعبون دوراً هاماً في تطوره. والعمل بذلك على استغلال مشاريعهم الابتكارية واحتضان إبداعاتهم واستثمارها بما يخدم عملية التنمية الاقتصادية ويسمح بمواجهة التحديات البارزة في عالمنا المعاصر، ويكون ذلك بمساهمة كل من المؤسسات الحكومية وغير الحكومية والقطاع الخاص.

الهوامش والمراجع:

- ⁽¹⁾ رمضان محمد القدافي (2000): رعاية الموهوبين والمبدعين، المكتبة الجامعية، مصر، ص.22.
- ⁽²⁾ المؤتمر العلمي الأول: "ثقافة الطفل بين التعليم والإعلام"، 1996، ص.314، نقلا عن محمود شقيرزينب (1999): رعاية المتفوقين والموهوبين والمبدعين، مكتبة النهضة، القاهرة، ص.9.
- ⁽³⁾ عطوف ياسين (1981): "اختبارات الذكاء والقدرات العقلية بين التطرف والاعتدال"، دار الأندلس، ج1، بيروت، ص.151، نقلا عن نفس المرجع، ص.10.
- ⁽⁴⁾ ماهر صالح (2006): مهارات الموهوبين ووسائل تنمية قدراتهم الإبداعية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ص.62، 105، 65.
- ⁽⁵⁾ الخميسي أحمد حسن (2014): تربية الموهوبين ورعايتهم في الأسرة والمدرسة والمجتمع، دار النهار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، ص.35، 30، 36.
- ⁽⁶⁾ العليطه (2005): "دور الأسرة والمدرسة والمجتمع في اكتشاف ورعاية الموهوبين"، يومية الفرات، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، الموقع الإلكتروني:
- <http://www.furat.alwehda.gov.sy>
- ⁽⁷⁾ الخميسي أحمد حسن (2014): مرجع مذکور سابقا، ص.36، 37.
- ⁽⁸⁾ ماهر صالح (2006): مرجع مذکور سابقا، ص.81-86، 128.
- ⁽⁹⁾ صحيفة الجمهورية (2010): "دور الأسرة ومسؤولياتها في تنمية الطفل المبدع"، الموقع الإلكتروني:
- <http://www.algomhoriah.net>
- ⁽¹⁰⁾ معوض موسى نجيب موسى (2013): "دور الأسرة في رعاية الأطفال الموهوبين"، شبه الألوكة، الموقع الإلكتروني:
- <http://www.alukah.net>
- ⁽¹¹⁾ فيوليت إبراهيم (1997): "الطفل العربي الموهوب - اكتشافه تدريجه رعايته"، المؤتمر الثاني للطفل العربي الموهوب، ص.743، نقلا عن محمود شقيرزينب (1999): مرجع مذکور سابقا، ص.125.
- ⁽¹²⁾ ماهر صالح (2006): مرجع مذکور سابقا، ص.87، 90-96.
- ⁽¹³⁾ الخميسياحمد حسن (2014): مرجع مذکور سابقا، ص.37، 38.
- ⁽¹⁴⁾ كمال السروزنادية (2000): مفاهيم وبرامج عالمية في تربية المتميزين والموهوبين، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، الأردن، ص.43.
- ⁽¹⁵⁾ ماهر صالح (2006): مرجع مذکور سابقا، ص.98، 99.
- ⁽¹⁶⁾ سيسالم كمال سالم، صادق فاروق (1988): الفروق الفردية لدى العاديين وغير العاديين، مكتبة الصفحات الذهبية للنشر، ط1، الرياض، ص.180.
- ⁽¹⁷⁾ ماهر صالح (2006): مرجع مذکور سابقا، ص.98-102.
- ⁽¹⁸⁾ درويش زين العابدين (1995): "تنمية الإبداع في السياق التربوي بين الضرورة والإمكان"، نقلا عن مرجع من تأليف نجبة من أساتذة علم النفس، دراسات وبحوث في علم النفس، دار الفكر العربي، القاهرة، ص.73، 74.

⁽¹⁹⁾Haddon, F.A. & Lytton, H. (1968): « Teaching Approach and the Development of Diverg Abilities in Primary Schools », *British Journal*, Vol. 8, P.171, in

نقلا عن رمضان محمد القذافي (2000): مرجع مذكور سابقا، ص.ص.236-230.

⁽²⁰⁾كماهر صالح (2006): مرجع مذكور سابقا، ص.ص.110، 111.

⁽²¹⁾سوييف مصطفى (2000): دراسات نفسية في الإبداع والتلقي، الدار المصرية، القاهرة، ص.106.

⁽²²⁾رمضان محمد القذافي (2000): مرجع مذكور سابقا، ص.152.

⁽²³⁾عبد الباقي سلوى: "مشكلات الطفل الموهوب"، المؤتمر الثاني للطفل العربي الموهوب، نقلا عن محمود شقير زينب

(1999): مرجع مذكور سابقا، ص.57.

⁽²⁴⁾رمضان محمد القذافي (2000): مرجع مذكور سابقا، ص.ص.153-156.

⁽²⁵⁾المليجي عبد المنعم، المليجيجلمي (1971): النمو النفسي، دار النهضة، بيروت، ص.436.